شعر الشيعة في العصر الأموي *

مفهوم التشيع : التشيع في اللغة يعني المولاة والمتابعة[١]، والشيعة : الاتباع والموالون والمؤيدون ، قال تعالي :" وإن من شيعته لإبراهيم"[٢]، أى من أتباعه وأنصاره .

وفي الاصطلاح يعني : مناصرة سيدنا علي بن أبي طالب وموالاته واعتباره أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، وأنه الخليفة الذي كان يجب أن يتولى أمر المسلمين بعد رسول الله ﷺ، ولكن حقه هضم واغتصب، وأن أولاده من بعده هم الورثة الشرعيون .

نشأته : تضاربت الآراء حول نشأة التشيع فمن رأي يذهب إلي أنه نشأ في عصر النبي ﷺ، ورأي آخر يقول بنشأته إثر وفاة الرسول ﷺ وثالث يدعي بأنه نشأ إبان الفتنة الكبرى ورابع يحتج بأنه نشأ في حرب صفين وآخر يقول بنشأته بعد تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان [٣] وقد صار لكل رأي أنصار ومؤيدون ذهبوا يثبتون وجهة نظرهم

فرق الشيعة :

توزع الشيعة فرقا وأحزابا وقاموا بثورات كثيرة منها ثورة الحسين ابن علي سنة ٦٥ هـ ، وحركة المختار الثقفي سنة ٦٦ – ٦٧ هـ ، وثورات الزيدية وغيرها .

---

* انظر في هذا الموضوع :
- الملل والنحل:الشهرستاني / ط أولي – الانجلو سنة ١٩٧٧ (ص ١٤٩ – ٢٠٨)
- اعتقادات المسلمين والمشركين / فخر الدين الرازي / صـ ٥٢ – ٦٣ / ط /سنة ١٩٣٧ م
- الفرق الإسلامية في الشعر الأموي / د. النعمان القاضي / ط دار المعارف سنة ١٩٧٠ م .
- الفرق بن الفرق / البغدادي / صـ ٤١ / تحقيق محمد عثمان الخشت / ط مكتبة ابن سينا ١٩٨٨م
- أضواء علي الفرق الإسلامية/ د. عبد المنعم محمود شعبان صـ٥٤-٧٤ / ط قاصد خير- بدون.
- أدب السياسة في العصر الأموي ، د. أحمد محمد الحوفي / ط خامسة نهضة مصر .
- فرق الشيعة النوبختي / تحقيق د. عبد المنعم الحفني / ط دار الرشاد سنة ١٩٩٢.

(١) الرواسب الشيعية في الشعر الأيوبي / د. غريب محمد علي / صـ ٣ .

(٢) سورة الصافات / آية ٨٣ .

(٣) انظر الرواسب الشيعية في الشعر الأيوبي / صـ ٤ بدون .

وأما أهم فرقهم فهي :

١- **غالية الشيعة :** وهم الذين تجاوزوا في حق علي والأئمة حتي أخرجوهم عن الحدود الخلقية، وحكموا فيهم بأحكام إلهية [١] ونبوية .

٢- **الكيسانية:**

هي فرقة تكونت حول المختار الثقفي الذي تعد حركته طليعة الحركات الدينية التي تتخذ من الدين وسيلة لتحقيق أطماع سياسية، ويزعم بعض فرق الكيسانية" أن علي بن أبي طالب قد نص علي إمامة ابنه محمد بن الحنفية "[٢] بعده، ويري آخرون أن محمد بن الحنفية يجب أن يتولي الإمامة بعد أبيه وأخويه (الحسن والحسين). وقد كان لهذه الفرقة أثر بالغ في التاريخ فلقد استغلها العباسيون في الدعوة لأنفسهم .

٣- **الزيدية :**

هي التي تنسب إلي زيد بن علي زين العابدين بن الحسين، وهذه الفرقة تدعي بأن الإمامة تنتقل من علي إلى الحسن ثم الحسين ثم علي زين العابدين ثم زيد بن علي زين العابدين [٣]. وهم يقصرون الإمامة علي أولاد فاطمة رضي الله عنها، ويرون أن الإمام يجب أن تجتمع فيه عدة خصال أهمها:" العلم والزهد والشجاعة والخروج وأن يكون من أولاد فاطمة حسنيا كان أم حسينيا "[٤] ويغلب علي هذه الفرقة الاعتدال الذي أخذه زيد عن واصل بن عطاء .

٤- **الإمامية :**

وهي التي تجري الخلافة من علي ثم الحسن إلي الحسين فعلي زين العابدين فمحمد الباقر فجعفر الصادق. وقد " سموا بذلك نسبة إلي الإمام (الخليفة) وأكثروا من الاهتمام به وركزوا كثيرا من تعاليمهم حوله "[٥] وترى أن النبي قد نص وصرح بإمامة علي بعده، وهي تنقسم إلي:

---

[١] الملل والنحل ، الشهرستاني / جـ١، صـ ١٥٤ .
[٢] مقالات الإسلاميين / أبو الحسن الأشعري / جـ١ ، صـ ١٢ .
[٣] مقدمة ابن خلدون / صـ٢٢٢.
[٤] الخطط / المقريزي / جـ ٣ ، صـ ٢٩٥.
[٥] ضحي الإسلام / أحمد أمين / جـ١ ، صـ ١٥٠ .

أ- **إمامية اثني عشرية :** وهم "الذين قطعوا بموت موسي الكاظم بن جعفر الصادق... وساقوا الإمامة من بعده في أولاده[1]، وعدد الأئمة عندهم اثنا عشر إماما هم : علي بن أبي طالب، الحسن، الحسين، علي زين العابدين، محمد الباقر، جعفر الصادق، موسى الكاظم، علي الرضا، محمد الجواد، علي الهادي، الحسن العسكري، محمد المهدي المنتظر .

ب- **الإسماعيلية :** وهي الفرقة الرئيسة الثانية المتفرعة من الإمامية، وهي التي زعمت أن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل وأنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه[2]، وترى أن والده أخفاه خوفا عليه من أعدائه، وكان من نسل إسماعيل هذا عبيد الله المهدي الذي أسس الدولة الفاطمية.

أهم عقائد الشيعة :

١- الإمامة ركن الدين وقاعدة الإسلام .
٢- الإمامة حق لعلي وأبنائه من بعده .
٣- الإمامة واجبة علي المسلمين ولا غنى عنها .
٤- الإمام معصوم من الخطأ (إلا الزيدية) .
٥- أن النبي صرح بإمامة علي، وأن نصوصا دينية قد قضت بذلك .
٦- أكثر الشيعة يؤمنون بالمهدية والرجعة .
٧- وجوب حب آل البيت .

شعر الشيعة :

يذهب شعر الشيعة في أغراض متعددة أهمها ما يأتي :

١- حب آل البيت ومديحهم :

تمكن حب آل البيت من نفوس الشيعة تمكنا وتغلغل في قلوبهم إلى درجة أنهم رأوه شيئا واجبا وعقيدة يجب الإيمان بها بل هو ركن ركين من الإسلام لا يتم إلا به ، ودليل على حب الله عز وجل وحب رسوله ﷺ، وهذا ما يظهر في قول أبي الأسود الدؤلي :

---

(١) الملل والنحل ، جـ ١، صـ ١٥٠
(٢) المقالات والفرق أبو خلف الأشعري/ صـ٨٠.

أحب محمدا حبا شـــديدا وعباسا وحمزة والوصيا
بنوعـــم النبي وأقربـــوه أحب الناس كلهـــم إليـــا
أحبهـــــم لحب الله حتي أجيئ إذا بعثت على هويا[1]

وقد صار هذا الحب زادا يتزودون به ، وشيئا يتقربون به إلى الله زلفي وبه يطلبون النجاة من عذاب الآخرة كما يقول السيد الحميري:

ثم الولاء الذي أرجو الحياة به من كبة النار للهادي أبي حسن[2]

وقد دفعهم هذا الحب إلى مدح آل البيت مدحا يتجاوز كل مدح ، يقول الفرزدق :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابـــن خير عبـــاد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأتـــه قـــريش قال قائلهـــا إلى مكارم هذا ينتـــهي الكرم
يغضي حياء ويغضى من مهابتـــه فمـــا يكلم إلا حيـــن يبتســـــم
من معشر حبهم دين وبغضـــــهم كفر وقربهم منجى ومعتصم[3]

وهذا هو الكميت بن زيد الأسدي الذي أخلص للشيعة وأحبهم حبا جما إلي درجة أنه لا يرى شيعة في الوجود إلا آل البيت ولا مذهبا في الدنيا إلا مذهبهم فهو المذهب الحق ، يقول معبرا عن هذا الحب :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب
إلى النـــفر البيـــض الذيـــن بحبهم إلى الله فيمـــا نالنـــي أتقـــرب
بـــــأى كتـــــاب أم بأيـــة سنـــة ترى حبهم عارا علي وتحسب

---

(١) ديوان أبي الأسود الدؤلي / صـــ ١٧٧ ، ١٧٨ تحقيق عبد الكريم الدجيلي / ط – بغداد ، سنة ١٩٥٤ .

(٢) الأغاني/ ج٧، صـــ ١٧، وانظر البيان والتبيين للجاحظ، جـــ٣، صـــ٣٦٥ وفي رواية لهذا البيت .
ثم الولاء الذي أرجو النجاة به يوم القيامة للهادي أبي حسن
بل إن حب آل البيت في نظر عبد الله بن كثير السهمي كفارة الذنوب كما يقول :
أيعـد ذنبـــا أن أحبـــهم بـــل حبهـــم كفـــارة الذنب

(٣) الأغاني/ جـــ١٩، صـــ٤١/٤٠ وتنسب هذه القصيدة إلى الحزين الكناني– الأغاني / جـــ١٤ ، صـــ ٧٦ .

فمـــــالي إلا آل أحمـــــد شيعـــة ومالي إلا مشعب الحق مشعب"[1]

٢- رثاء آل البيت وشيعتهم :

وفي الجانب المقابل وقف شعراء الشيعة يرثون آل البيت معلنين حزنهم وتفجعهم .

والحق أن آل البيت ومن شايعهم قد نكبوا نكبات عديدة واستشهد منهم ومن أتباعهم الكثير في سبيل عقيدتهم .

وقد اتخذ شعراء الشيعة من الكوارث التي حلت بآل البيت معينا لا ينضب في الرثاء ، ولعل أكثر تلك الكوارث إيلاما هي استشهاد الحسين في كربلاء .

لقد ذرف الشعراء في هذه الكارثة العبرات وسفحوا الدموع غزيرات ونفسوا عن عاطفة مكلومة وقلب مفجوع في شعر حزين باك ، يقول عبيد الله بن الحر في قتلى كربلاء :

وقفت على أجداثـــهم ومجالـــهـــم فكاد الحشا ينفض والعين ساجـــمـــه
لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغي سراعا إلى الهيجا حماة حضارمـــــه
فـــإن يقتـــــلوا فكل نفـــس تقيـــــة على الأرض قد أضحت لذلك واجمـــه
سقى الله أرواح الـــذيـــن تـــــأزروا على نصره سقيا من الغيث ساجمه[2]

ويعد بعض الباحثين / عبيد الله بن الحر" أول من وضع تقاليد البكائين للحسين"[3] ويقول أبو الأسود الدؤلي :

قلتـــم خيـــر من ركـــب المطايـــا وذللها ومن ركب السفينـــا

---

(١) الأغاني / جـ ١٥ ، صـ ١١٩ وما بعدها وهذه القصيدة ضمن ست قصائد للكميت تسمي " الهاشميات " ويبلغ عدد أبيات الهاشميات ٤٦٣ بيتا أودعها الشاعر عقائد الشيعة وأظهر حبه الشديد لآل البيت .
– انظر التطور والتجديد في الشعر الأموي / د. شوقي ضيف ، صـ ٢٦٨ .

(٢) مروج الذهب / المسعودي ، جـ ٢ ، صـ ٢٣٣.

(٣) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، صـ ٣٤٨ .

إذا استقبلت وجــه أبـــي حسين رأيت النور فوق الناظرينا

لقــد علمــت قريــش حيث كانت بأنك خيرهم حسبا ودينــا[1]

ويرى سليمان بن قتة أن البكاء وحده لا يكفي فهو ليس حزينا بمفرده بل إن السماء لتبكي علي آل البيت والشمس صارت مريضة والنجوم ناحت علي الحسين وصلت وكذا الدنيا كلها حزينة باكية ، يقول معبرا عن ذلك .

ألم تران الشمس أضحت مريضة لفقد حسين والبلاد اقشعرت

وقــد أعولت تبكي السماء لفقــده وأنجمها ناحت عليه وصلت [2]

(٢)

ويأخذ شعراء الشيعة في أثناء رثائهم آل البيت في تقريع الأمويين علي ما اجترفوا في حق آل البيت وما اقترفوا من ذنوب ، يقول أبو الأسود الدؤلي مخاطبا إياهم :

ماذا تقولــون إن قال النبـــي لكــم ماذا فعلتــم وأنتــم آخــر الأمــم

بعتــرتي وبأهلـــــي بعد مفتقــدي منهم أسارى وقتلى ضــرجوا بدمي

هل كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي[3]

وهكـذا ظـل الشـيعة يبكـون ويتـألمون ويـذرفون الـدموع السـخينة والعبرات الغزيرة الرقيقة حتى لقد ضرب المثل في الرقة برقة دموع الشيعة فقيل .

أرق من دمعـــــة شيــعيــة تبكي علي ابن أبي طالب[1]

---

(١) الأغاني / جـ ١١، صـ ١١٧ ، وانظر ديوان أبي الأسود الدؤلي ، صـ ١٧٤ . وفي الديوان .

قتلتم ..... وخيسها ومن ركب السفينا

..... رأيت البدر راق الناظرينــا

وتنسب هذه الأبيات إلي أم الهيثم ابنة أبي الأسود الدؤلي

(٢) مقاتل الطالبيين / صـ ١٢١.

(٣) مناقب آل طالب / جـ ٣ ، صـ ٢٦٢ / المازندراني – ط النجف سنة ١٣٧٦ هـ

٣- الاحتجاج والحملة علي الخصوم :

يري الشيعة أنهم أفضل من غيرهم وأن آل البيت أحق الناس بالخلافة وهم عصمة الدين وأئمة المسلمين ، وقد فرض لهم القرآن ذلك الحق، كما أن النبي ﷺ قد نص علي ذلك وأشار إليه في أكثر من حديث .

ومن الآيات التي يحتجون بها في أحقية آل البيت في الخلافة قول الله عز وجل " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.[٢]

ومن الأحاديث النبوية حديث غدير خم الذي يرون أنه نص أكيد صريح بإمامة علي بن أبي طالب الذي يقول فيه النبي ﷺ بعد أن أخذ بيد علي " اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله " (٣) وعن هذا الحديث يعبر السيد الحميري قائلا

إذا أنا لم أحفظ وصـــاة محمـــد ولا عهده يوم الغدير المؤكدا

فإني كمن يشري الضلالة بالهـدي تنصر من بعد التقي وتهـودا[٤]

ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ لعلي بن أبي طالب " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي " [٥]

ومن ثم أخذوا يدعون الناس إلى الانضواء تحت راية آل البيت واعتبار بني أمية مغتصبين الخلافة ، ولذلك نرى الكميت يقول مخاطبا الأمويين محاولا تفنيد مزاعمهم في الخلافة :

بخاتمكم غصبا تجوز أمـــورهم فلم أر غصبـا مثله يتغصب

---

(١) مجمع الأمثال / الميداني / جـ ٢ ، صـ ٧٧ / ط دار الجبل / ط ثانية سنة ١٩٨٧ .

(٢) سورة الأحزاب / ٣٣ ومن هذه الآيات التي احتجوا بها علي ذلك: آية ٧٣ سورة هود، أيـة ٥٩ سـورة النساء وآية ١١٩ سورة التوبة ، آية ٢٣ سورة الشوري ، آية ٢٨ سورة الزخرف .

(٣) مسند الأمام أحمد / جـ ٢- صـ٢٠١/ ط المعارف بمصر سنة ١٣٦٦ هـ .

(٤) الأغاني / جـ٧ ، صـ١٦.

(٥) صحيح مسلم بشرح صحيح البخاري للقسطلاني / جـ ١١، صـ ٢٢٥ . ومن هذه الأحاديث أيضا قولـه صلي الله عليه وسلم " أنا دار الحكمة وعلي بابها " سنن الترمذي جـ ١٣ ، صـ ١٧١ – ط الصـاوي سنة ١٣٥٢ هـ .

يرون لهم فضلا علي الناس واجبا سفاها وحق الهاشميين أوجب
فإن هي لم تصلح لحي سواهـــم فإن ذوي القربى أحق وأقرب[1]

وهكذا أخذ شعراء الشيعة يحملون علي خصومهم ، ويجادلونهم ويفندون مزاعمهم ويتهمونهم بالظلم خاصة الأمويين ، وفي الجانب المقابل يصفون آل البيت بالعدل وحسن السيرة والسياسة ،يقول الكميت :

راجحي الوزن كاملي العدل في السيـ رة طبين بالأمور الجسام
ساسة لاكمن يرى رعية النا س سواء ورعية الأغنام
فهم الأرأفون بالناس في الرأ فة والأحلمون في الأحلام[2]

٤- رجعة الإمام :

أمل الشيعة في عودة الإمام نتيجة الظلم الذي لاقوه والاضطهاد الذي حل بهم ، وقد كانت عقيدة الرجعة أملا يريح نفوسهم وعزاء يسليهم عن الحرمان الذي عاشوه ، وتخفيفا عن العسف السياسي الذي عانوه .

والرجعة عندهم تعني عودة الإمام إلي الدنيا ليملأها عدلا بعدما ملئت ظلما وجورا .

فهذا كثير عزة (وتنسب الأبيات إلي السيد الحميري) يرى أن ابن الحنفية لم يمت وإنما تغيب في جبل رضوى بالحجاز وأنه سيعود إلي الدنيا يقول معبرا عن هذه العقيدة :

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء

---

(١) الهاشميات / صـ ٤٢ . وانظر الأغاني / جـ ١٥ / صـ ١١٨ .
(٢) الهاشميات / صـ ٢٠ .

تغيب لا يــري فيــهم زمــانا برضـــوى عنــده عسل دماء [1]

وهذا هو كثير عزه الذي يدين بهذه العقيدة نراه يقول أيضا :

ألا قــل للوصـــي فدتك نفسي أطلت بذلك الجبـــل المقاما
وما ذاق ابن خولة طعم مــوت ولا وارت له أرض عظــاما
ألا حي المقيم بشعب رضــوى وأهد له بمنـــزله الســلاما
تمــام مــودة المهــدي حتــى تروا راياتنــا تتــرى نظاما[2]

سمات الشعر الشيعي :

يتسم شعر الشيعة بالغزارة والكثرة ومواكبة الأحداث الشيعية ومن ثم اعتباره وثيقة تاريخية للشيعة ، وقد دخله بعض الانتحال ، ويتسم أيضا بأنه سياسي عبر عن رأي الشيعة في الخلافة ، وطرق شعراؤه أغراضا عديدة ، واصطبغ بالإضافة إلى ذلك بالصبغة الدينية، كما يتميز بحرارة العاطفة – وفيه مجادلة ومناظرة كما أنه طبع بالطابع الشعبي ، وأما الأساليب فقد تنوعت بين الرقة والجزالة والعذوبة والفخامة وهو هادئ رزين في المناظرة ، ثائر عنيف في الهجوم علي الأعداء ، رقيق حزين في الرثاء والمحور الذي يرتكز عليه هذا الشعر هو الجهاد من أجل الخلافة .

---

[1] الأغاني / جـ ٧ ، صـ ٩ (الجميري) ، الأغاني / جـ ٨ ، صـ ٣١ (كثير)
[2] الآغاني / جـ ٨ ، صـ ٣١ .